



المعالم التاريخية في النصوص الشعرية في المدينة المنورة الآطام أنموذجا

Historical Landmarks in Poetic Texts in Medina: The
fortified towers as a Model

إعداد

د. أحمد بن علي بن عبد العزيز الربيعي

Ahmed Ali Abdul-Urduni

أستاذ مشارك قسم التاريخ والتراث، كلية اللغات والعلوم الإنسانية - جامعة القصيم

عبد القادر انجاي

Abdul-Qader Anjay

باحث في مرحلة الدكتوراه قسم التاريخ والحضارة - كلية اللغة العربية والدراسات

الإنسانية - الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

Doi: 10.21608/ajahs.2025.440949

استلام البحث ١٤ / ٤ / ٢٠٢٥

قبول البحث ١٢ / ٦ / ٢٠٢٥

الربيعي، أحمد بن علي بن عبد العزيز وانجاي، عبد القادر (٢٠٢٥). المعالم التاريخية في النصوص الشعرية في المدينة المنورة الآطام أنموذجا. *المجلة العربية للآداب والدراسات الإنسانية*، المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب، مصر، ٩(٣٦)، ٦٦٥ - ٦٩٤.

<http://ajahs.journals.ekb.eg>

المعالم التاريخية في النصوص الشعرية في المدينة المنورة الأطلام أنموذجا المستخلص:

يهدف هذا البحث إلى إبراز دور الشعر في المعالم التاريخية الأثرية في المدينة المنورة، وخلص فيه الباحث إلى ذكر هذه الأطلام التي كانت تعتبر معالم عمرانية بارزة للمدينة المنورة منذ عهد الجاهلية إلى ما بعد الإسلام، والذي كانوا ينفقون عليها الأموال الطائلة في بنائها لمهمة التحصين وغيرها من المهام التي كانت تقوم بها، مثل مهمة الاستطلاع والادخار، ونحو ذلك، وكشف البحث عن دور الشعراء في تخليد هذه المعالم في أشعارهم، وخاصة الأطلام التي كانت المدينة تتميز بها عن غيرها، كما تحدث عن علاقة الشعر بالتاريخ في تسجيل الأحداث والوقائع، وخلص إلى ذكر أبرز النتائج التي توصل إليها من خلال طرح بعض الجوانب التي تنضح فيها هذه العلاقة وضوحا جليا.

Abstract:

This research aims to highlight the role of poetry in the historical archaeological landmarks in Medina. The researcher concludes by mentioning these fortified towers, which were considered prominent architectural landmarks of Medina from the pre-Islamic era to the post-Islamic era. Significant resources were invested in their construction for fortification and other functions, such as scouting and the storage of munitions; the research also reveals the role of poets in immortalizing these landmarks in their poetry, especially the fortified towers, which distinguished Medina from other region, it also examine the relationship between poetry and history in chronicling events and facts. The researcher concluded by mentioning the most prominent results he reached by presenting some aspects in which this relationship appears clearly.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين:

أما بعد: فقد شهدت المدينة المنورة حضارة عمرانية عريقة، وارتبط تاريخها بالمعالم الأثرية فيها، وتعتبر هذه المعالم أثارا تشهد بالرقى العمراني الذي عاشه أهل هذه المدينة الطيبة المباركة عبر القرون الماضية، ولا يزال بعض الآثار قائما، وقد

تعددت أنواع هذه المعالم ما بين مساجد أثرية، وآبار، ووديان، وأطام تاريخية، وإن من محاسن الحضارة الحديثة الاحتفاظ بهذه الآثار التي تدخل في عمق التاريخ، وقد نقل من كلام النبي ﷺ ما يشهد للتنبؤ بشأنها والاحتفاظ بها، ومنع هدم هذه الأطام، وإن كانت الآثار المروية في ذلك فيها مقال، وقد نوه محمد شراب بأهمية هذه الآثار وضرورة إبقائها كمعالم أثرية تشهد على ما للأمة من حضارة وقدرة على البناء والتفكير، حين يقول: إن الأمم اليوم تعنى بالآثار وتسعى لتحديد أماكنها إن كانت زائلة، لا لتقديسها، ولكن لأن هذه المعالم والآثار تدل على حضارة الشعوب وقوتها العمرانية، ومى قدرتها على التفكير، كما تدل على سيادة الأمم، ولذلك وجدنا جميع الأمم تعتني بآثارها ما عدا العرب، إلى أن جاء وقت وجدت فيه آثارها عند أعدائها، فيقدمونها لهم وللعالم حسب التفسير الذي يرونه، وهدفهم أن يجعلوا العرب متأخرة، وأن يثبتوا تفوق أوروبا في الحضارة، وهذا ما حصل بالفعل حيث اعتقد الكثير أن العرب ليست أمة عريقة في الحضارة ولا أهلاً للصناعة والاختراع^(١).

هذا: ولما كان للشعر في كلام العرب منزلة عالية واعتُبر كسجلٍ تاريخي لتدوين الأحداث، تبارى الشعراء في ذكر هذه المعالم في أشعارهم، وكان للأطام نصيب وافر من تلك الأشعار، ولذلك جاءت فكرة هذا البحث حيث يقوم بتجلية هذا الجانب الذي لم يُعط اهتماماً لائقاً به، فجاء عنوانه كالتالي: "المعالم التاريخية في النصوص الشعرية في المدينة المنورة الأطام أنموذجاً"

أهمية البحث:

تتضح أهمية هذا البحث من خلال النقاط التالية:

١. حاجة القراء إلى دراسة متخصصة في المعالم التاريخية من خلال الشعر العربي، وارتباط الموضوع بجانب من جوانب معالم هذه المدينة المباركة المدينة المنورة.
٢. عدم اطلاع الباحث على دراسة علمية مستقلة تهتم بإبراز أثر الشعر والشعراء في ذكر المعالم التاريخية في المدينة المنورة.
٣. إبراز الجانب البيني في الدراسات الأدبية، من خلال بيان ارتباط التاريخ بعلم آخرى كالأدب وغيره.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى:

١. التعرف بالأطام وتطورها التاريخي وارتباطها بالمدينة المنورة وإبراز كونها معلماً بارزاً من معالم المدينة المنورة.

(١) انظر: شراب، محمد بن محمد، المعالم الأثرية في السنة والسير، ط١، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م، دار القلم دمشق بيروت، ص: ١٤١.

٢. إبراز دور الشعراء في تخليد المآثر والمفاخر من خلال ذكرهم المعالم التاريخية في أشعارهم .
٣. بيان العلاقة بين الشعر والتاريخ في تسجيل الوقائع والأحداث التاريخية من خلال عقد مقارنة بينهما.

مشكلة البحث:

تتجلى مشكلة هذا البحث في الأسئلة التالية:

- ما المقصود بالآطام في معالم المدينة المنورة، وما هو أبرز الأدوار التي كانت تقوم بها؟
- ما هو دور الشعراء في تخليد مآثرهم ومفاخرهم من خلال أشعارهم؟
- ما هي علاقة الشعر بالمعالم الأثرية عموماً، والآطام خصوصاً؟

منهج البحث:

اتبع البحث منهجاً تاريخياً، من خلال عرض نماذج من آطام المدينة المنورة التي وردت في أشعار العرب، وتحليلها.

أدبيات البحث:

التمهيد: التعريف بالمعالم والآطام ونشأتها بالمدينة المنورة

أ-تعريف المعالم:

قال ابن فارس: المعالم جمع معلم، والعين واللام والميم أصل صحيح واحد، يدل على أثر بالشيء يتميز به عن غيره^(١). فهو مشتق من قولهم: أعلمت الثوب إذا جعلت فيه علامة أو جعلت له علماً، وأعلمت على موضع كذا من الكتاب علامة^(٢). ولهذه الكلمة -على اختلاف اشتقاقاتها- معان عديدة، فيقال: معلم الطريق والدين: أي دلالاته، ومعلم كل شيء: مظنته، ويقال: فلان معلم للخير أي يدل عليه، والمعلم أيضاً: الأثر يستدل به على الطريق، وهذه المعاني ترجع إلى الوسم والعلم^(٣). وعكس المعالم المجاهل، يقال: أرض مجهل أي لا أعلام فيها يهتدى بها والجمع مجاهل، قال الشاعر: ^(٤)

(١) ابن فارس، أحمد بن فارس، مقاييس اللغة د.م دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م، ج ٤، ص ١٠٩.

(٢) انظر: الأزهرى محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، ط ١، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م، ج ٢، ص ٢٥٤.

(٣) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، ط ٣، دار صادر، بيروت ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م، ج ١٢، ص ٤٢٠.

غدت من عليه بعدما تمَّ خمُسُها... تصِلُ وعن قيض بزياء مجهل^(٦).
وعلى ضوء التعاريف اللغوية السابقة يمكن القول بأن المعالم علامات وآثار،
وقد سميت الأماكن التي يعتنى بها بالمعالم، وهو لقب مشهور عند أهل العلم، ومن
ذلك قولهم معالم المدينة المنورة البلدة الطيبة^(٧).

ب- تعريف الأطام:

قال ابن فارس: الهمزة والطاء والميم، يدلُّ على الحبس والإحاطة بالشيء، يقال
للحصن الأطم وجمعه أطام، قال امرؤ القيس^(٨):
وتيماء لم يترك بها جذع نخلة... ولا أطمأ إلا مشيداً بجندل^(٩).
وهذه الكلمة لها معان عديدة حسب اشتقاقها، وأشهر معانيها -وهو المقصود عند
إطلاقها في البحث- الحصون، والقصور، وبالأخص حصون أهل المدينة. قال أوس
بن مغراء^(١٠) السعدي:

بثَّ الجنودَ لهم في الأرض يقتلهم... ما بين بصرى إلى أطام نجرانا
ومن معانيها اللغوية: الارتفاع: ومنه قولهم أطام مؤطمة أي مرتفعة، وفلان
يتأطم على فلان، مثل يتأجج، قال الأصمعي: تأطم السيل، إذا ارتفعت في وجهه
كالأمواج ثم تكسر بعضها على بعض، ومنه تأطمت النار: ارتفع لهبها، وتأطم عليّ
فلان: تطاول في غضبه^(١١).

(٥) ورد البيت منسوب للشاعر مزاحم بن الخارث العقيلي في: العيني بدر الدين محمود،
شرح المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية المشهور بـ «شرح الشواهد
الكبرى» ت: علي محمد فاخر، وجماعة، ط١، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع
والترجمة، القاهرة - جمهورية مصر العربية، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م.

(٦) الزبيدي، محمد بن أحمد، تاج العروس من جواهر القاموس، ط١، الفكر ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٣ م،
ج ١٤، ص ١٣٠.

(٧) الصاعدي، سعود بن عيد، معجم المعالم الأثرية في المدينة المنورة في ضوء المصادر
الأصلية والمراجع الحديثة، ط١، وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد، ١٤٣٨ هـ/
٢٠١٦ م، ص ٣٤.

(٨) انظر ديوان امرئ القيس، ت المصطاوي، ط٢، دار المعرفة بيروت، ١٤٢٥ هـ/ ٢٠٠٤ م،
ص: ٦٦.

(٩) ابن فارس، مقاييس اللغة ج ١، ص ١١٢.

(١٠) ورد البيت منسوباً لأوس في لسان العرب ج ١٢، ص ١٩.

(١١) الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ت: أحمد عبد
الغفور عطار، ط٤، دار العلم للملايين، ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧ م، ج ٥، ص ١٨٦٢؛ انظر:
الزمخشري، محمود بن عمر، أساس البلاغة، ت: محمد باسل عيون، ط١، دار الكتب
العلمية بيروت، ١٤١٩ هـ/ ١٩٩٨ م، ج ١، ص ٣٠.

ومن معانيها اللغوية حسب الاشتقاق، احتباس البطن، يقال: أُؤْتِطِمَ على الرجل، ومنه قولهم بغير مأطوم إذا لم يُبَلَّ بسبب داء به، والأطيمة: موقد النار، قال الأفوه (١٢):

في موطن ذرب الشبا فكانما.... فيه الرجال على الأطام واللظى والأطوم: السلحفاة البحرية (١٣).

ويقال آجام بالجم بمعناها، نقل أبو عبيد عن الأصمعي: أن الأطام والآجام بمعنى الحصون، وواحداهم أطم وأجم (١٤).

ويمكن القول بأن المعاني المذكورة للأطام تدور حول الحبس والإحاطة بالشيء كما قال ابن فارس، ومن أشهر معانيه الحصن المبني بحجارة، أو بناء مرتفع كالحصن كما عبر به ابن الجوزي، حين يقول: وكان بلال يؤذَن على أطم، الأطم واحد الأطام، وهي الأبنية المرتفعة كالحصون ويقال له أجم أيضا (١٥).

وعلى ضوء هذه التعاريف اللغوية يمكن القول بأن الأطم هو: البيت المربع المسطح، وأن الأطام بلغة أهل المدينة إذ ذاك تعني القصور، وإذا كانت هذه الأطام واسعة ومسكونة دائماً بملكها وسيدها ومعه خدمه وحاشيته سميت حصوناً مثل حصن كعب بن الأشرف (١٦).

وقد حاول بعض الباحثين إرجاع الكلمة إلى المعنى العبري، فيقولون: إن الكلمة مشتقة من اللغة العبرية، حيث يقال: أطمَ عينيه إذا أغمضهما، وأطمَ أذنيه إذا سدّهما، وذكر أن الأطم في الجدران والحيطان: تعني النوافذ المغلقة من الخارج، المفتوحة من الداخل، وأنها تستعمل في الحائط الضخم، فيمكن أن نفترض أن اليهود سمو الأطام بهذه التسمية لإمكان إغلاق أبوابها، فتفتح نوافذها من الداخل (١٧).

(١٢) ورد البيت منسوباً إليه في لسان العرب ج ١٢، ص ٢٠، ولم أجده في ديوانه المطبوع.

(١٣) الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج ٥، ص ١٨٦٢.

(١٤) الأزهرى، تهذيب اللغة ج ١٤، ٣٢. انظر: الخطابي، حمد بن محمد، غريب الحديث د.ت. دار الفكر، دمشق، ١٤٠٢/١٩٨٢م، ج ١، ص ١٠٥.

(١٥) ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، غريب الحديث لابن الجوزي، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥/١٩٨٥م، ج ١، ص ٣١. انظر: الإفصاح في فقه اللغة، ط ٣، دار مكتب الإعلام الإسلام، قم، ١٤١٠/١٩٨٩م، ج ١، ص ٦٢٥.

(١٦) الخياري، أحمد ياسين أحمد، تاريخ معالم المدينة المنورة قديماً وحديثاً، ط ١، نادي المدينة المنورة الأدبي، ١٤١٠/١٩٩٠م، ص: ٢١.

(١٧) سعيد حوى، الأساس في السنة وفقهها، السيرة النبوية، ط ٣، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ١٤١٦/١٩٩٥م، ج ١، ص ٣٧٨.

الاشتقاق اللغوي للأطام:

أكثر الأطام الواردة لها دلالة لغوية تنبثق من اشتقاقاتها اللغوية، فجد العلماء والمؤرخين يهتمون بهذا الجانب،

ونجد الفيروز آبادي في كتابه المغانم المطابة في معالم طابة من أكثر من اعتنى ببيان الاشتقاق اللغوي لهذه الأطام وضبط ألفاظها، فمن الأطام التي لها اشتقاق لغوي -على سبيل المثال-:

رَاتِجٌ، بعد الألف تاء مُثَنَّة فوقية، وجيم: أطم من أطام المدينة وسميت النَّاحِيَة به وكانت لليهود لبني جشم بن الحارث، والمراتج: الطَّرْقُ الضَّيِّقَة، يقال: أرتج الباب: إذا أغلقه، والرتاج: هو الباب المغلق^(١٨).

ومن هذا الأطام التي ذكر لها العلماء اشتقاقاً لغوياً أطم واقم، الذي نسبت إليه الحرة، فقالوا: الموقوم: المحزون، يقال: وقمه الأمر إذا ردّه عن حاجته وإربه، وكأنه سمي بذلك لحصانته، ومعنى ذلك أنه يردّ عن أهله^(١٩).

ومنها الشَّرْعِيّ، وهو أطم من أطام المدينة وكانت لليهود، والشرع الطويل ولعلهم نسبوه إليه، لكونه طويلاً، قال قيس بن الخطيم:

ألا إن بين الشرعيّ وراتج ... ضرباً كتحذيم السَّيَالِ المعصّد^(٢٠)

وهذه أمثلة قليلة من بين عشرات الأطام التي لها دلالة لغوية، وقد تعمق بعض الباحثين في هذا المبحث فذكر أن الصياغة اللغوية لهذه الأطام تؤكّد دلالة معانيها، وأن الغالب منها تلك التي جاءت بصيغة الصفة المشبهة التي تدلّ على الثبوت والدوام، مثل الأجرد، والأشنف، والأطول، والأغلب، كما ورد بعض الأطام بصيغة اسم الفاعل التي تدلّ على التجدد مثل أطم واضم وجاعس وواسط وفارع،، وألمح إلى أن بعض الأطام منتبهة بالألف واللام التي تدلّ على المعنى، مثل أطم الضحيان، والزيدان، والريان، وبعضها جاءت على صيغة المبالغة كأطم الهجيم والشنيف، وهي صيغة تدلّ على الكثرة، وأخرى جاءت على صيغة اسم المفعول مثل أطم المسير، والمزدلف^(٢١).

المبحث الأول: أطام المدينة التاريخية

كانت فكرة بناء الأطام قديمة قدم الأمم المتحضرة على وجه الأرض، حيث عرفت كمعلم أثري في كثير من الأمم السابقة، سواء في ذلك العرب في جاهليتهم، أو غيرهم من الأمم كالهند وغيرها، وأما بخصوص المدينة المنورة، فإن المعلوم أن

(١٨) الفيروز آبادي، المغانم المطابة في معالم طابة ج ٢، ص ٢٨٧.

(١٩) ياقوت الحموي، معجم البلدان ط ٢، دار صادر، بيروت، ١٦/٢٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م، ج ٥، ص ٣٥٤.

(٢٠) الفيروز آبادي، المغانم المطابة في معالم طابة ج ٢، ص ٣٥٣.

(٢١) موسوعة مكة والمدينة المنورة، أطام المدينة المنورة، دار الفرقان للنشر، ص ٨٦.

اليهود هم أكثر من ابنتى الأطام فيها، وهي تدلُّ دلالة واضحة على ما كانت عليه اليهود من القوة والمنعة حتى خيلَ لهم من خلال هذه الأبنية المحصنة أنها مانعتهم من الله، كما عبّر عن ذلك القرآن في مواضع، وهو بذلك يشير إلى هذه الأبنية الشاهقة وإن لم ترد تسميتها بالأطام في القرآن إلا أنها سميت بأسماء لها نفس الدلالة كالحصون والصياصي، لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ^(٢٢) بِأَسْهُمٍ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسِبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى^(٢٣) وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُواهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا^(٢٤). ولا ريب أن هذه الأطام كانت وسيلة من وسائل توطيد اليهود لمركزهم في المدينة، وإقراراً للهبة التي كانوا يتمتعون بها في نفوس العرب^(٢٥).

وكانت يثرب في وقت هجرة النبي ﷺ إليها تشمل عدّة دوائر يسكنها بطون عربية ويهودية، ولكل بطن من هذه البطون دائرة خاصة تتبعه، والدائرة تنقسم إلى قسمين، قسم يضم أراضي زراعية بما فيها من منازل والسكن، وقسم يشتمل على الأطام، وكانت بالطبع محكمة البناء محصنة، تغلق أبوابها بإحكام ويمكن فتحها من الداخل.

وكان كل بطن من البطون الكبيرة يضم طائفة من البطون الصغيرة تعد موالية، يشرف على مزارعها ومتاجرها ويرعى حقوقها، وإذا وقعت إغارة عدها واقعة على رعاياه فطلب بالتأثر أو دفع الدية، وكان البطن الصغير يلجأ إلى أطام البطن الكبير إذا هاجمهم عدو، وهو مضطر للدخول في الحرب إلى جانب البطن الكبير، ومع ذلك فقد حافظت البطون الصغيرة على شخصيتها ولم تسمح البطون الكبيرة أن تحد من حريتها، وكان من نتيجة ذلك أن تجنبت البطون الكبيرة كل ما من شأنه أن يهيج البطون الصغيرة^(٢٥).

وكانت المدينة في ذلك الوقت على شاكلة مكة لا يحيط بها سور ولا حائط، ولا خندق يحول أمام من يريد بأهلها سوءاً، فكانت البيوت والأطام هي عماد دفاعهم عن

(٢٢) سورة الحشر، الآية / ١٤.

(٢٣) سورة الأحزاب، الآية / ٢٦.

(٢٤) انظر: الشريف أحمد إبراهيم، مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول صلى الله عليه وسلم، دار الفكر العربي، دت، ص: ٢٤٥؛ انظر: عبد الله بن عبد العزيز، مجتمع المدينة في عهد الرسول ﷺ، ط١، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م، د.م. ص: ١٨.

(٢٥) سعيد حوى، الأساس في السنة وفقهها - السيرة النبوية ج ١، ٣٧٨؛ انظر: الشريف، أحمد إبراهيم، مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول ﷺ ص: ٢٦٥؛ انظر: محمد السيد الوكيل، بثرث قبل الإسلام، ص: ١٨٢، ط١، دار المجتمع للنشر والتوزيع، جدة، ١٤٠٦هـ / ١٩٩٦م؛ انظر: إسرائيل ولفنسون، تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، مطبعة الاعتماد، مصر، ١٣٤٥هـ / ١٩٢٧. ص ١١٦.

أنفسهم بالتحصن فيها، فكان العامة يتحصنون في بيوتهم، أما الأغنياء والموسرون فإنهم كانوا يتحصنون في أطامهم ومن معهم من الحواشي فيقاتلون العدو من فوق السطوح بالحجارة والسهم، حتى إن الأوس والخزرج تحاربوا على الأطلال، وأرخوا تلك الحرب بـ"بعام الأطلال" (٢٦).

وكانت لهذه الأطلال مكانة مرموقة في المجتمع المدني، حتى إنهم كانوا يسمون الناحية الكاملة باسم أطلال من أطامهم كما سموها حرة واقم (٢٧) بهذا الأطلال، وكذلك أطلال السطح (٢٨)، والمعروف أن السطح هي منازل بني الحارث بن الخزرج، وكان أطلال من أطلال المدينة سميت به تلك الناحية (٢٩).

وكانت فكرة الأطلال قديمة حيث وجدت في الحجاز وفي نجد، وخيبر وتيماء والطائف، وصنعاء ونجران وغيرها ولا تزال آثارها باقية، ولعل تطوّر هذا النوع من البناء إنما كان في المدينة، وإن كان عهد ابتداعه مؤغلاً في القدم، وكانت حصون اليمامة تعرف باسم البتل، وهو حصن مربع مستطيل في السماء مثل الصومعة ويكون من طين، ويختلف طولها فمنها ما كان طوله مائتي ذراع نحو السماء، وقيل وجد منها على عهد طسم (٣٠) وجديس (٣١) ما طوله خمسمائة ذراع وهم سكانها القدماء، ومما يدل على عروبة فكرة ابتداء الأطلال ما يذكر أن بني أنيف (٣٢) وكانوا

(٢٦) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط٤، دار الساقية، بيروت، ٢٠٠١م/١٤٢٢هـ، ج٧، ص ١٣١.

(٢٧) حرّة واقم: إحدى حرّتي المدينة المنورة، وهي الشرقية، انظر: معجم البلدان ج٢، ص ٢٤٩؛ انظر: شراب محمد بن محمد، المعالم الأثرية في السنة والسير، ط١، ١٤١١م/١٩٩٠م، دار القلم، دمشق-بيروت ص ١٠٠.

(٢٨) إحدى محال المدينة، وبها كان منزل أبي بكر الصديق، رضي الله عنه، ياقوت، معجم البلدان ج٣، ٢٦٥؛ انظر: شراب، المعالم الأثرية في السنة والسير، ص: ١٤٤..

(٢٩) ياقوت، معجم البلدان ج٥، ٣٥٤؛ انظر: الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار ص: ٣٢٥.

(٣٠) هم بنو طسم بن لاوذ، وهم قبيلة من القبائل العاربة، انظر القلقشندي، أحمد بن علي القلقشندي

نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ت: إبراهيم الإبياري، ط٢، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٠م/١٤٠٠هـ، ص: ٣٢٤.

(٣١) بنو جديس بن إرم، وهم قبيلة من قبائل العرب العاربة البائدة، القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ص: ٢٠٤.

(٣٢) لعلهم بنو أنيف بن جشم، من أبناء بلي بن عمرو، انظر: ابن حزم، أحمد بن علي، جمهرة أنساب العرب لابن حزم، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣م/١٩٨٣م ص ٤٤٢.

من بقية العماليق^(٣٣) الذين غلبوا على المدينة كانوا قد ابتنوا الأطام في المدينة قبل اليهود^(٣٤).

وقد اشتهر قصر السموأل بن عادياء^(٣٥) ببنيماء الذي يقال له الأبلق، وقد ذكره الأعشى في شعر يمدحه به، وكانت نجران أيضا ذات أطام كما أشار إلى ذلك أوس بن مغراء السعدي في قوله:

بَنَّ الجنود لهم في الأرض يقتلهم ما بين بصرى إلى أطام نجرانا
وكان باليمن حصن مشهور يعرف بأطم الأضيظ، وهو كما قالوا الأضيظ بن قريع، كان قد أغار على أهل صنعاء ثم بنى بها أطمًا^(٣٦).

وورد في قصة عبد المطلب واسمه شيبه الحمد ما يفيد بوجود أطام في عهده، وذلك أن هاشم بن عبد مناف خرج إلى الشام في تجارة فمرَّ بالمدينة وتزوج بسلمى بنت عمرو النجارية فحملت بشيبه ورحل هاشم فمات بأرض الشام وولدت سلمى وترعرع الغلام وصار وصيفاً فقدم ثابت بن المنذر أبو حسان بن ثابت الشاعر مكة فقال للمطلب بن عبد مناف لو رأيت ابن أخيك لرأيت جمالاً وشرفاً ورأيت بني أطام بنى قينقاع يناضل فتيناناً من أخواله فيدخل في مرماتية جميعاً في مثل راحتي هذه والمرماة السهام وكانوا إذ ذاك يرمون بسهمين فخرج المطلب حتى قدم المدينة ومكث يرقب شيبه فلما أبصره عرفه بالشيبه ففاضت عينه ثم دعاه فكساه حلة وردّه إلى أمه^(٣٧).

نسبة الأطام:

تشير المصادر إلى عدة أطام ورد التصريح بنسبتها إما إلى مآكلها، أو ذكرت دون نسبة إلى أحد، وبعضها نسبت إلى من ابتناها.

فمن الأطام المنسوبة -على سبيل المثال- القوافل، وهو أطم لبني سالم بن عوف الخزرجي، وكان في طرف بيوتاتهم مما يلي ناحية العصبة، بناه سالم وغنم ابنا

(٣٣) بنو عمليق بن لاوذ، قبيلة من العرب العاربة، انظر: القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ص: ٣٧٧.

(٣٤) عبد الله بن عبد العزيز، مجتمع المدينة في عهد الرسول ﷺ، ص ١٨.
(٣٥) السموأل بن عادياء الأردني: كان شاعراً جاهلياً حكيماً، من سكان خيبر، شمالي المدينة، كان يتنقل بين خيبر وبين حصن له يسمى بالأبلق، وتنسب إليه قصة وفاء، توفي نحو ٦٥ ق هـ ٥٦٠ م. انظر: الزركلي، خير الدين بن محمود، الأعلام، ط ١٥، دار العلم للملايين، مايو ١٤٢٣/٥ ٢٠٠٢، مج ٣، ١٤٠.

(٣٦) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ج ١٠، ص ١٢٣.
(٣٧) المقدسي، المطهر بن طاهر، البدء والتاريخ، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، دت، ج ٤، ص ١١٢.

عوف، وسموه القواقل، لكونهم كانوا إذا آواوا إليه أحداً يقولون له قوقل حيث شئت، ومعناه اذهب حيث شئت لا بأس عليك^(٣٨).
وأحياناً ينسب الأطلال لقبيلة معينة، كما هي في أطلال بَرَجْ: وهو من أطلال المدينة كانت لبني القمعة وهم من بني النضير^(٣٩).
وكذلك كان لبني قريظة في دارهم أطلال: ومن ذلك أطلال الزبير بن باطا القرطي، وأطلال كعب بن أسد الذي يقال له بلحان، وكان من أشهر الأطلال المنسوبة لأطلال صَحْيَان: وهو أطلال ابتناه أحيحة بن الجلاح^(٤٠).
وقد يذكر أطلال دون نسبة إلى أحد، ومن أمثلتها، أطلال القُبابة، قيل فيه: أطلال من أطلال المدينة، وكذلك كَلْب: أطلال من أطلال المدينة^(٤١).
أشهر الأطلال في المدينة المنورة:

تعددت الآراء حول عدد أطلال المدينة، فمنها أطلال قديمة سبقت اعتناء اليهود ببناء أطلال فيها، وقد اشتهرت اليهود ببناء الأطلال، فبنوا أطلالاً كثيرة في المدينة، وهناك أطلال أخرى بناها الأوس والخزرج، فأما اليهود فقد بنوا ما يربو تسعة وخمسين أطلالاً قبل هجرة النبي ﷺ، وبلغ مجموعها اثنين وسبعين أطلالاً، ولما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة منع من هدم الأطلال الموجودة، وقال: (إنها زينة المدينة)^(٤٢) ثم أمر ببناء أطلال جديدة^(٤٣)، وأما الأنصار والمهاجرون فتنفذوا لأمر النبي صلى الله

(٣٨) الفيروز آبادي، المغامم المطابة في معالم طابة ج ٣، ٣٧.

(٣٩) ياقوت، معجم البلدان ج ١، ص ٣٧٤.

(٤٠) أخبار المدينة ص: ١٦٩؛ انظر: ياقوت، معجم البلدان ج ٣، ص ٤٥٤.

(٤١) الفيروز آبادي، المغامم المطابة في معالم طابة ج ٣، ص ٤؛ انظر: المصدر نفسه: ج ٣، ص ٤٠.

(٤٢) ولفظ الحديث: لا تهدموا الأطلال؛ فإنها زينة المدينة" أخرجه الطحاوي في "شرح المعاني" ٣١٢/٢ و ٤/ ١٩٤، وابن عدي في "الكامل" ق ٢١٣/٢ وهو منكر، الألباني، محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، ط ١، دار المعارف الرياض، ١٤١٢/٥، ١٩٩٢م، ج ١٠، ص ٤٥٨.

(٤٣) تاريخ معالم المدينة المنورة قديماً وحديثاً ص: ٢١.

(٣) هذا الأمر النبوي فهمه العلماء من الحديث الذي ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد عن سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال: من كان له بالمدينة أصل فليتمسك به ومن لم يكن له بها أصل فليجعل له بها أصلاً، فليأتين على الناس زمان يكون الذي ليس له بها أصل كالخارج منها المجتاز إلى غيرها، رواه الطبراني في الكبير ورجاله ذكرهم ابن أبي حاتم ولم يذكر فيهم جرحاً. وهذا الحديث يدل على تشجيعه ﷺ على التملك في المدينة للسكنى سواء كان التملك داراً أو مزرعة أو متجراً أو غير ذلك مما يربط الشخص بالإقامة فيها. انظر: الخيار، تاريخ معالم المدينة المنورة قديماً وحديثاً ص: ٢١.

عليه وسلم بنوا ستة وخمسين أطمأً جديدة، فبلغ بذلك مجموع الأطم في عهد النبي ﷺ مائة وثمانية وعشرين أطمأً^(٤٤).

وتفاصيلها كالآتي:

١ - ابتنى اليهود بالمدينة قبل الإسلام (٥٩) تسعة وخمسين أطمأً في أماكن سكنهم في ضواحي المدينة.

٢ - ابتنى العرب بالمدينة قبل الإسلام (١٣) ثلاثة عشر أطمأً.

٣ - ابتنى الأنصار والمهاجرون بالمدينة في الإسلام (٥٦) ستة وخمسين وذلك بأمر من الرسول الأعظم - ﷺ وبهذا يكون عدد الأطم بالمدينة المنورة (١٢٨) مائة وثمانية وعشرين أطمأً^(٤٥).

ولم يحدّد بعض المؤرخين عدد هذه الأطم وإنما اكتفى بالقول بأن قبائل اليهود كانت تنيف على العشرين، وأن عدد أطم من نزل من العرب معهم تنيف على السبعين^(٤٦).

ويبدو أن بعض القبائل كانت تتنافس في بناء الأطم، حيث وجد لبعض القبائل عدة أطم، وروى ابن زبالة أنه وجد في دار بني معاوية بن مالك تسعة عشر أطمأً، وذكر أنه أحصى ثلاث عشر أطمأً لبني أمية بن عامر بن بياضة^(٤٧).

وأما أشهر تلك الأطم فهي كما يلي:

١- أطم واقم والضحيان:

يعتبر هذان الأطمان من أشهر أطم المدينة ويرجع تاريخهما إلى ما قبل الإسلام، وواقم أطم كان لرجل يقال له حضير الكتائب؛ وأما الضحيان فإنه لأحيحة بن الجلاح^(٤٨).

٢- أطم فارع:

^(٤٤) الخياري، أحمد ياسين أحمد، تاريخ معالم المدينة المنورة قديماً وحديثاً ص: ٢١.

^(٤٥) ابن النجار، محمد بن محمود، الدر الثمينة في أخبار المدينة، ت: صلاح الدين بن عباس، ط١، مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م ص ٨٠-٨٢؛ انظر: الخياري، أحمد ياسين، الحسيني، المدينة المنورة واليهود، ط١، مؤسسة المدينة للصحابة دار العلم جدة، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م، ص ١٢٢.

^(٤٦) العباسي، أحمد بن عبد الحميد، عمدة الأخبار في مدينة المختار، ت: حمد الجاسم، ط٥، المكتبة العلمية، المدينة المنورة، دبت ص: ٣٨.

^(٤٧) ابن زبالة، محمد بن الحسن، أخبار المدينة، ت: صلاح عبد العزيز، ط١، مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م، ص: ١٧٨.

^(٤٨) محمد بن حبيب، المنمق في أخبار قریش، ت: خورشيد أحمد فاروق، ط١، عالم الكتب، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م، ص: ٢٧٨.

هذا الأطم من أشهر أطام المدينة وينسب لحسان بن ثابت رضي الله عنه، وهو الأطم الذي جعل فيه النبي ﷺ عمته صفية أيام الخندق^(٤٩).

٣- أطم سعد بن عباد:

من أطام المدينة التي كانت مشهورة أطم سعد بن عباد رضي الله عنه، وكان ينادى على هذا الأطم كل يوم من أراد لحما وشحما فليأت سعد بن عباد، وكان سعد يبعث كل يوم بجفنة إلى رسول الله ﷺ حين قدم المدينة، وكان ابنه يفعل ذلك بعده^(٥٠).

٤- أطام النواعم:

كانت لبني النواعم وهم من بني النضر عدة أطام في المدينة ومن أشهرها أطم البويلة^(٥١).

٥- أطام بني زيد اللات:

كان لبني زيد بن اللات وهم قوم عبد الله بن سلام رضي الله عنه أطمان مشهوران في المدينة^(٥٢).

٦- أطام بني مزاية:

كان لبني مزاية أطم الشبعان، ولهم أطم براتج سميت به ناحيته، وأطم الشيخان^(٥٣).

٧- أطام بني زيد بن مالك بن عوف

كانت لبني زيد بن مالك أربعة عشر أطمًا يقال لها الصياصي، وتقع شرقي مسجد قباء، ومن بين أطامهم أطم يقال له المستظل عند بئر غرس، وأطم يقال له الهجيم عند المسجد الذي صلى فيه النبي ﷺ عند العصابة^(٥٤).

٨- أطم بني السميعة:

كان لبني لودان بن عمرو بن عوف، أطم يسمى السعدان^(٥٥).

٩- أطم بني عطية بن زيد:

كان لبني عطية بن زيد أطم مشهور يسمى بالشاش" وكان يقع في ساحة مسجد قباء^(٥٦).

(٤٩) الذهبي، تاريخ الإسلام ج ٣، ص ١٤٧.

(٥٠) الذهبي، تاريخ الإسلام ج ٣، ص ١٤٧.

(٥١) السهودي، خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى، ت: محمد الأميني الجكني، (د.م) (د.ت). ج ١، ٥٢٥.

(٥٢) السهودي، خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى ج ١، ص ٥٢٧.

(٥٣) السهودي، خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى ج ١، ص ٥٢٨.

(٥٤) السهودي، خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى ج ١، ص ٥٥٤.

(٥٥) السهودي، خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى ج ١، ص ٥٥٥.

٩- أطم بني جشم وزيد ابنا الحارث:
كان ببني جشم أطام معروفة ومنها السنج وهو اسم أطم سميت به الناحية،
ومكانها في أول العالية، كما كان من أشهر أطم بني خدره الأجرد وهو الأطم الذي
يقال لبئرته "البصة" ^(٥٧).

١٠- أطم بني سالم وغنم ابنا عوف:
كان لبني سالم وغنم ابني عوف بن عمرو بن الخزرج أطم القواقل ومكانها في
الحرّة الغربية، قريب من مسجد الجمعة وتسمى أطم القواقل وكانت بمنطقتهم أطم
يقال له مزاحم ^(٥٨).

١١- أطم بني غنم بن مالك وبني عدي بن عمر:
كانت لبني مالك بن النجار أطام معروفة في مناطقهم في المدينة، ومن
أشهرها أطم فويرع وفارع ^(٥٩).

١٢- أطم بني مذبول وبني عدي بن النجار:
كانت لبني مذبول وهو عامر بن مالك بن النجار، أطام عديدة، ومن أشهرها
أطم "السلج" وأطم "الزاهرية" ومحلها غربي المسجد النبوي ^(٦٠).

١٣- أطم بنو ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة:
كانت بنو ثعلبة بن الخزرج يسكنون قريبا من سوق المدينة، ولهم أطم بدار أبي
دجانة، وأطم آخر مواجه لمسجد بني ساعدة وهو آخر أطم بني بالمدينة المنورة ^(٦١).

استخدامات الأطام المتنوعة:

استخدمت هذه الأطام لعدة أغراض، فقد كانت مهمة في حياتهم اليومية، حيث
استعملت كملاحي عامة يلجؤون إليها عندما يهاجمهم العدو، فينضوي إليها الأطفال
والنساء والعجزة، ويخرج الرجال لمقاتلة الأعداء.
ولعل مهمة التحصين والدفاع كانت أبرز مهام تلك الأطام، ويروى أن أحبة بن
الجلاح تحصن بأطمه الضحيان، حينما قاتله تبع أبو كرب الحميري، وقيل بل تحصن
في أطمه المستظل.

^(٥٦) السمهودي، خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى ج ١، ص ٥٥٧.

^(٥٧) السمهودي، خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى ج ١، ص ٥٥٨.

^(٥٨) السمهودي، خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى ج ١، ص ٥٥٩.

^(٥٩) السمهودي، خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى ج ١، ص ٥٦٨.

^(٦٠) السمهودي، خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى ج ١، ص ٥٧٠.

^(٦١) السمهودي، خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى ج ١، ص ٥٦٥.

ولكن لم تكن الأطلال تؤدي مهمة التحصين فقط، بل كانت تعتبر مخازن يجمعون فيها الغلال والثمار، وكثر الأموال والسلاح، كما كانت تقام الأسواق بالقرب منها، وكان ينزل بقربها القوافل المثقلة بالبضائع، وزعم ولفنسون أن هذه الأطلال التابعة لليهود كانت تضم معابد وبيوت المدارس، حيث كانت فاخرة الأثاث حيث يجتمع فيها الزعماء للمشاورة والبحث في شؤونهم إذا أرادوا إبرام العقود والاتفاقات^(٦٢).

ولعلها استخدمت أيضاً كأداة للاستطلاع وتبليغ الصوت إلى أقصى غاية، فقد وردت في قصة الأذان لما ذكر شأن الصلاة فقال بعضهم: نستعمل الناقوس، فاعترض بعضهم وقالوا إن ذلك فعل اليهود، ثم قال: لو أمرنا رجالاً يقومون على أطلال المدينة فينادون إذا حضر وقت الصلاة فيؤذنون الناس بالصلاة، ثم بات النبي ﷺ وهو مهتمٌ لذلك....^(٦٣).

ويروى أن حسان بن ثابت صعد فوق أطلال من أطلال المدينة ثم نادى بأعلى صوته وقال: يا صباحاه، فاجتمعت الخزرج إليه وقالوا ما عندك؟ فقال: بيت شعر قلته أردت أن تسمعه فقالوا له هات يا حسان فأنشد^(٦٤):

وإن امرءاً أمسى وأصبح سالماً ... من الناس إلا ما جنى لسعيد^(٦٥).
وورد في قصة الهجرة أن المسلمين لما سمعوا بمخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة كانوا يخرجون كل غداة إلى الحرة ينتظرون مقدمه حتى يردّهم حرّ الشمس، حتى أوفى رجل من يهود على أطلال من أطلالهم لحاجة له فرأى رسول الله ﷺ وأصحابه وهم مبيضون يزول بهم السراب فلم يملك اليهودي أن قال بأعلى صوته

(٦٢) سعيد حوى، الأساس في السنة وفقهها - السيرة النبوية ج ١، ٣٧٨؛ انظر: الشريف، أحمد إبراهيم، مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول ﷺ ص: ٢٦٥؛ انظر: محمد السيد الوكيل، بثر قبل الإسلام، ص: ١٨٢، ط ١، دار المجتمع للنشر والتوزيع، جدة، ١٤٠٦/١٩٩٦م؛ انظر: البغدادي، عبد القادر بن عمر، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، ط ٤، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٨/١٩٩٧م، ج ٣، ص ٣٥٦.

(٦٣) ابن أبي عاصم، أحمد بن عمرو، لأحاد والمثنائي لابن أبي عاصم، ت: باسم فيصل أحمد، ط ١، دار الراية الرياض، ١٤١١/١٩٩١م، ج ٣، ص ٤٧٦.

(٦٤) لم أجد البيت في ديوانه، ولكن ورد منسوباً إليه في كثير من المصادر، وبعضها قال له أو لابنه عبد الرحمن، انظر: ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، الشعر والشعراء، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨/١٩٩٧م، ج ١، ٢٩٨.

(٦٥) الإشبيلي، محمد بن أحمد، المستطرف في كل فن مستطرف، ت: مفيد محمد قميحة، ط ٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٦/١٩٨٦م، ص: ٩٨.

يا معاشر العرب هذا جدكم الذي تنتظرون فثار المسلمون إلى السلاح فتلقوا رسول الله بظهر الحرة فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف (٦٦). وقد استخدم النبي ﷺ الأطم في عهده حيث إنه كان إذا خرج للغزو خلف النساء والذرياري والشيوخ فيها.

فقد ورد أنه ﷺ لما خرج إلى أحد خلف ثابت بن وقش وحسيل بن جابر في الأطم وكانا شيخين كبيرين، ثم إن أحدهما قال لصاحبه أفلا نخرج ونلحق برسول الله ﷺ، فأخذا أسيفهما ولحقا برسول الله ﷺ حتى دخلا في الناس وقتلا، أما ثابت فقتله المشركون، وأما حسل فظنه المسلمون رجلا من المشركين فاختلفت عليه أسيفهم فقتلوه (٦٧).

وكذلك جعل النبي ﷺ النساء والأطفال في أطم المدينة لما خرج إلى غزوة الخندق، فإن المشركين لما أتوا إلى المدينة نزلت طائفة منهم شرقي المدينة جانب أحد، ونزلت طائفة أخرى في أعالي أرض المدينة، مثل ما قال الله تعالى في كتابه: وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سَأَلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا فِيهَا إِلَّا بَيْسِيرًا (٦٨) خرج النبي ﷺ وأصحابه وهم ثلاثة آلاف، حتى أسندوا ظهورهم إلى سلع، وجعلوا وجوههم قبل العدو، وجعل رسول الله ﷺ النساء والذرياري في الأطم (٦٩).

وقد استعمل النبي ﷺ بنفسه الأطم وذلك حين أشرف على أطم من أطم المدينة، وقال: "هل ترون ما أرى؟ إني أرى مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع القطر" (٧٠). وعموماً، فإن هذه الأطم كانت لها عدة استخدامات، وكانت معلماً معمارياً للمدينة المنورة قبل الإسلام وبعده، وهي من جملة آثارها التاريخية التي تعتبر مفخرة

(٦٦) صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه، رقم الحديث: ٣٦٩٤ ج ٣، ١٤٢١.

(٦٧) ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ت: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م ج ١، ص ٤٥٨؛ انظر: ابن النجار، الدرة الثمينة في أخبار المدينة ص: ٢١٣.

(٦٨) سورة الأحزاب، الآية/ ١٠.

(٦٩) الشامي، محمد بن يوسف، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، ت: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م، ج ٤، ص ٣٧١؛ انظر: ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، ت: ساي بن محمد سلامة، ط ٢، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م، ج ٦، ص ٣٨٤.

(٧٠) رواه البخاري في صحيحه، من حديث أسامة بن زيد، انظر: صحيح البخاري، أبواب فضائل الصحابة، باب أطم المدينة، رقم الحديث ١٧٧٩ ج ٢، ص ٨٧١.

من مفآخرهم وبها كانوا يتفآخرون، ولذلك نجد حسان بن ثابت رضي الله عنه مفتخراً بقومه ذوي النعم الذين شيّدوا الحصون في يثرب فيقول ^(٧١):
أُولَئِكَ قَوْمِي فَإِنْ تَسَالَى... كِرَامٌ إِذَا الضَّيْفُ يَوْمًا أَلَمَ
بِئْتَرَبَ قَدْ سَيِّدُوا فِي النَّخِيلِ ... حُصُونًا وَدَجَنَ فِيهَا النَّعَمُ ^(٧٢).

المبحث الثاني: علاقة الشعر بالتاريخ في تسجيل الوقائع

ما من شك في أن هناك علاقة وطيدة بين الشعر العربي وبين التاريخ الإسلامي، من حيث إن كلاً منهما يعتبر وثيقة هامة من وثائق التاريخ وسجلاته التي حفظ بهما معاً، ويظهر هذا واضحاً في عدة موضوعات تاريخية، ويخصص البحث الحديث عن بعض تلك الجوانب حتى تصح هذه الدعوى، ويتضح ذلك من خلال إلقاء الضوء على بعض العناصر التالية:

علاقة الشعر بالسيرة النبوية:

يعتبر الشعر وثيقة تاريخية مهمة فهو ديوان العرب وسجلهم النفيس الذي به حفظ تاريخهم وأدائهم وأخلاقهم، وهو الوثيقة التي حفظوا فيها أخبار أبطالهم ووقائع بطولاتهم، وكان هو دنيا العرب الثقافية، ومما يدل على أهميته في هذا الميدان أن النبي ﷺ بعث في أمة ازدهرت فيهم صناعة الشعر، فطرقوا كل موضوعاته من مديح وهجاء، ورتاء وفخر وحماسة وغيرها، ولو لا الشعر لما عرفت الجغرافية العربية ومواقع الصحراء ووآحاتها ومربآعها وجبالها ووديانها، لأن كل ذلك مدوّن في أشعارهم، ولو لا الشعر لما اشتهرت القبائل العربية وأخبارها في محافلهم وتحاربهم وسلمهم، ولأهمية الشعر نجد الإمام البخاري في صحيحه يستشهد به كثيراً بل وعقد باباً خاصاً سماه ب" باب ما يجوز من الشعر والرجز والخداء وما يكره منه" وذكر قوله تعالى " والشعرآء يتبعهم الغآون" ، ثم ساق بسنده إلى أبي بن كعب أن النبي ﷺ قال: إن من الشعر لحكمة" ^(٧٣) ولذلك نجد أن دراسة الشعر العربي الذي قيل في عصر الدعوة الإسلامية له أهمية كبيرة سواء في ذلك شعر الكفار في المسلمين، أو

^(٧١) انظر: ديوان حسان بن ثابت، ت: عبد الله سنده، ط١، دار المعرفة بيروت، ١٤٢٧هـ/

٢٠٠٦م، ص ٢٣٩.

^(٧٢) عدنان أحمد، علي أحمد يونس، يثرب في شعر شعرائها، مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية، تاريخ النشر ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، ص: ٩.

^(٧٣) البخاري محمد بن إسماعيل، ، الجامع الصحيح المختصر، ت: مصطفى ديب البغا، ط٣، دار ابن كثير، اليمامة - بيروت ١٤٠٧/ ١٩٨٧م باب ما يجوز من الشعر والرجز والخداء. رقم الحديث، ٥٧٩٣ ج ٥، ٢٢٧٦.

شعر المسلمين فيهم ومنافحتهم للإسلام، بل إن دراسة الشعر عموماً سواء في العصر الجاهلي أو الأموي له أهمية كبيرة في دراسة السيرة النبوية^(٧٤).

وقد تنبه علماء السيرة والتاريخ إلى أهمية الشعر فأكثرُوا من الاستشهاد به، وكان محمد بن إسحاق من أوائل من تنبّه لأهمية الشعر ومكانته في مرويات السيرة النبوية فكان يورد عقب كل موقعة ما ورد وما قيل فيها من شعر، نجد ذلك في غزوة بدر وأحد والخندق، إضافة إلى إيراد شعر الوفود والقبائل التي وفدت على رسول الله ﷺ معلنة إسلامها، وجاء ابن هشام بعده فهذب السيرة وحذف كثيراً من الأشعار المشكوك في نسبتها، إلا أنه مع ذلك أثبت كثيراً من تلكم الأشعار^(٧٥).

وهذا النوع الذي حذفه ابن هشام من أشعار السيرة المشكوك في نسبتها هو الذي قصد ابن سلام في كتابه طبقات فحول الشعراء انتقاد ابن إسحاق عليه حين اعتبر أن ابن إسحاق هو من أفسد الشعر وهجنه وحمل منه كل غثاء، حيث كتب في الشعر أشعاراً كثيرة لرجال ونساء لم يقولوا شعراً قط، ثم جاوز ذلك حتى أورد أشعاراً في عهد عاد وثمود، ونقل عنهم كلاماً مؤلفاً معقوداً بقواف ليس بشعر على أنه شعر^(٧٦).

علاقة الشعر بأيام العرب:

يقصد بأيام العرب الحروب والوقائع والنزاعات التي نشبت بين القبائل العربية في مجتمعهم الجاهلي الذي كانت النزاعات فيه محتدمة، وتعتبر أيام العرب في الجاهلية مصدراً هاماً من مصادر التاريخ، لما روي فيها من أشعار كثيرة، ولما اشتملت من وقائع وأحداث، من مآثور الحكم وبارع الحيل، ومصطفى القول، ورائع الكلام، فهي توضح شيئاً من الصلات التي كانت قائمة بين العرب وغيرهم من الأمم كالفرس والروم، وتروي كثيراً مما كان يقع بين العرب أنفسهم من خلاف، بل إنها سبيل لفهم ما وقع بين العرب بعد الإسلام من حروب شجرت بين القبائل، ووقائع كانت بين البطون والأفخاذ والعشائر.

(٧٤) هاني السباعي، قراءة في مصادر السيرة النبوية، دار هادف للنشر والتوزيع، د.ت.د.م ص ٢٠٥-٢٠٦؛ انظر: فاروق حمادة، مصادر السيرة النبوية وتقويمها، ط ٣، دار القلم دمشق، ١٤٢٤/٣٠٠٣م ص ١٤١-١٤٢؛ انظر: الكبيسي عبد الحافظ عبد محمد، أسس مصادر كتابة السيرة النبوية، مجلة مداد الآداب، العدد الثالث، الجامعة العراقية كلية الآداب، ص ٥١٢.

(٧٥) هاني السباعي، قراءة في مصادر السيرة النبوية، ص ٢١٢-٢١٣.

(٧٦) محمد بن سلام، طبقات فحول الشعراء، ت: محمود شاكر، دار المدني، جدة، د.ت، ج ١، ص ٧.

ولو نظرت إلى الشعر الجاهلي في جملته وتفصيله، وبخاصة ما كان في الفخر والحماسة، والرثاء والهجاء، فإنك تجده قد ارتبط بتلك الأيام، فبينما كان الفوارس يناضلون بسيفهم ورماحهم، ويجودون بنفوسهم رخيصة في سبيل أقوامهم، كان الشعراء من ورثهم يدفعون عن الأحساب بقصيدهم، ويطلقون السننهم في خصومهم وأعدائهم، ويندبون بقوافيهم صرعاهم، والقتلى من أشرفهم وزعمائهم ومن ثم فقد أصبحت كتب الأدب من المصادر المهمة في التاريخ العربي القديم، ففيها ثروة أدبية قيمة، قد لا نجد لها مثيلاً في كتب التاريخ، بل نستطيع أن نذهب بعيداً، فنقول إن كثيراً من الأخبار ماتت لموت الشعر الذي قيل في مناسبتها، في حين أن أخباراً خلقت خلقاً لأن ما قيل فيها من شعر كان سبباً في بقائها، ومن ثم فقد أصبح الشعر سبباً في تخليد الأخبار، لسهولة حفظه، ولاضطرار رواته إلى قص المناسبة التي قيل فيها^(٧٧).

علاقة الشعر بالقبائل والأنساب:

كان الشعر يحتل مكانة مرموقة عند العرب، وهو ديوان أمجادهم وسجل مفارهم وأحسابهم، وكانوا يتفاخرون به، وكانت القبيلة الواحدة تفتخر بنبوغ شاعر من شعراءها، ولذلك كانت تعتني بشعر أبنائها، ويقيدون شعر شعرائها الذين يدافعون عن حياضها، ويسجلون به وقائعها وأيامها، وهذا كله نابع من معرفتهم بالكتابة في الجاهلية، فقيدوا بعض قصائدهم، وليس المراد من هذا، التقييد العام، بل كتابة بعض الأبيات في أوراق وحفظها، ولا يعنى أنهم اتخذوا الكتابة وسيلة يدونون بها كل أشعارهم، لأن وسائل الكتابة في ذلك العصر كانت صعبة، حيث كانوا يكتبون على الجلود والعظام ونحوها^(٧٨).

وكان الشعر يرتبط بعلم التاريخ ارتباطاً وثيقاً، ولذلك نجد كثيراً من علماء الشعر لهم إلمام بفروع علم التاريخ، فنجد المفضل الضبي العالم بالشعر وتفسيره وتقييمه له

^(٧٧) لطفي عبد الوهاب، العرب في العصور القديمة، دار المعرفة الجامعية، ط٢، للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية د.ت. ص: ٢٣٨ انظر: محمد بيومي مهران، دراسات في تاريخ العرب القديم، ط٢، دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية د.ت. ص: ٤١.

^(٧٨) ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، ط٧، دار الجيل بيروت، ١٤٠٩/ ١٩٨٨م، ص ١١٠؛ انظر: شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، دار نوي القربي، قم، ط٢، ١٤٢٧/ ٢٠٠٦م، ص ١٤٠.

مشاركة في معارف أخرى، فكتابه الأمثال يدل دلالة واضحة على إلمامه بالأيام والأساطير الجاهلية والحكايات^(٧٩).

وكان بعض النسابين لهم صلة قوية بالشعر العربي، لأن معرفتهم بالنسب كانت تقتضي منهم معرفة واسعة بأخبار القوم وأشعارهم، ولذلك نجد كتب الأنساب يذكر مؤلفوها أخبارا تاريخية وأدبية وأشعاراً يسوقونها مع هذه الأخبار، ولذلك نجد ذكر علماء النسب مقرونا بمعرفتهم بالشعر وروايته، وأيام العرب وأخبارهم^(٨٠).

علاقة الشعر بالتاريخ من ناحية أخرى

وهناك نوع آخر من الشعر يسمى بالتاريخ الشعري، وكانوا يسمونه أيضا التاريخ الحرفي؛ لكونه يرجع إلى حساب الأحرف الأبجدية، وهذا النوع لا يعرف بالتحديد أول من استعمله في الشعر، وذكر بعضهم أنه كان مستعملاً عند شعراء الجاهلية الأولى، وهو وهم، ومن أول ما وقف عليه قول بعض الشعراء يؤرخ لسنة ٨٢٢هـ:

تاريخه خير بدا ... مع كمال العفة

يريد بقوله (كمال العفة) حرف التاء التي تعتبر هاء في حساب الجمل^(٨١)، ويسمى هذا النوع بالمذيل، بأن تكون جملة ناقصة فيكمل بحرف أو أكثر منه مع التنبيه على ذلك، وهو شبيه ببعض أنواع المعمي^(٨٢) (٨٣).

المبحث الثالث: أظام المدينة من خلال النصوص الشعرية

لما كان الشعر ديواناً للعرب به يحفظون مآثرهم ويخلدون مفاخرهم، كان للمعالم التاريخية أثرٌ بارزٌ في قصائدهم، حيث ورد ذكر كثير من تلك المعالم، بما فيها الأظام في أشعارهم، فقد كانت الأظام تعتبر عزاً أهل المدينة قبل الإسلام وبعده فكانوا

(٧٩) انظر مقدمة كتاب "أمثال العرب" للمفضل الضبي، ط١، دار الرائد العربي، بيروت، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م، ت إحسان عباس، ص: ٢٩.

(٨٠) ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، ص ٢١٥-٢١٦.

(٨١) حساب الجمل هي الحروف المقطعة من أبي جاد. انظر: الزبيدي، تاج العروس، ج ١٤، ... ١٢٢

(٨٢) الرفاعي، مصطفى صادق، تاريخ آداب العرب، ت: درويش الجويدي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر ببيت، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م، ج ٣، ص ٣٤١.

(٨٣) يقال: عمى معنى البيت تعمية: إذا أخفاه، ومن هذا المعنى المعمي من الأشعار؛ كما في الصحاح، وقيل: إن التعمية هي: أن تعمي شيئا على إنسان فتلبسه عليه تلبيسا. انظر: الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس ج ١٩، ٧٠٤.

يتحصنون بها من كل عدوٍ يقصدهم سواء في لك العدو الداخلي أو الخارجي، وهذه الأطلال منها ما كنت تعرف أسماءها ومنها ما لا تعرف أسماءها، إلا باسم سيدها ومنها ما يعلم اسم مالكها، ومنها ما لا يعلم عنها ذلك، ذلك ومنها أطلال تذكر في الشعر ومنها ما لا يذكر فيه ^(٨٤).

اشتهار المدينة بالأطلال:

كانت المدينة المنورة تشتهر بالأطلال، مما جعل الشعراء يذكرون ذلك في أشعارهم ويصفونها بها، فقد ورد في قصة جبيهة الأشجعي الذي طلبت منه زوجته أن يهاجر بها إلى المدينة ويبيع إبله، فلما أقبل بإبلها حتى وصل إلى حرة واقم شرقي المدينة حنّت ناقة إلى وطنها، فتبعته الإبل وشردت عنه فطلبها ففاته، فعاتبته، وقال لها: هذه إبل لا تعقل وقد حنّت إلى وطنها فنحن أولى بها، فأنت طالق إن لم ترجعي، وقال فيها شعراً: ومنه:

قالت أنيسة: بَعْ تِلْدَاكَ وَالتَّمْسْ ... داراً بيثرب ربة الأطلال
تَكُنْبُ عِيَالُكَ فِي الْعَطَاءِ وَتَقْرُضْ ... وكذلك يَفْعَلُ حَازِمُ الْأَقْوَامِ ^(٨٥).
فجد الشاعر أنه يصف المدينة بأنها ربة الأطلال، وهذا يدل على شهرة الأطلال بها وكثرتها، وهذه الكثرة التي جعلت الشاعر يصفها بربة الأطلال كانت من خصائصها في الجاهلية بحيث لم يشاركها فيها بلدٌ آخر، وهي ميزة لها تنفرد عن المدن ^(٨٦).
وهذا المعنى هو الذي عبّر به الشاعر أبو ذؤيب ^(٨٧) الهذلي في رثاء النبي صلى الله عليه وسلم

لما رأيت الناس في غسلاتهم ما بين ملحود له ومضرَح
متبادلين لشرج بأكفهم نص الرقاب لفقد أبيض أروح
فهناك صرت إلى الهموم ومن بيت جار الهموم يبيت غير مروح
كسفت لمصرعه النجوم وبدرها وتزعزعت أطلال بطن الأبطح ^(٨٨).

^(٨٤) العباسي، أحمد بن عبد الحميد، عمدة الأخبار في مدينة المختار؛ انظر: الخياري، أحمد ياسين أحمد، تاريخ معالم المدينة المنورة قديماً وحديثاً ص: ٢١.
^(٨٥) الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب، المعاني المطبوعة في معالم طابة، مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، د. م. د. ت. ج ٣، ١٨.
^(٨٦) عدنان أحمد، علي أحمد يونس، يثرب في شعر شعرائها ص: ٩.
^(٨٧) انظر: ديوان أبي ذؤيب، ت: أحمد خليل الشال، ط ١، مركز الدراسات والبحوث الإسلامية، بورسعيد مصر، ١٤٣٥/٥، ٢٠١٤م، ص ٢٤.

يقصد بهذا الأبيات التعبير عن الحزن العميق الذي أصابت المسلمين إثر وفاة الرسول ﷺ حتى انكشف النجوم بهذا الخبر الحزين ، وتهدّمت الآطام، وهذا تعبير يقصد منه بيان أثر الحزن الذي سيطر على الوجوه من هذا الخبر الصاعق.

ومن هذا المعنى أيضا قول زيد الخيل ^(٨٩) الطائي:

أنِخت، بآطام المدينة، أربعا وعشرا، يَغَيّ فوقها الليل طائر
فلما قضى أصحابنا كلّ حاجة وخطّ كتابا في المدينة ساطر
شدت عليها رحلها وشليلها من الدرس والشعراء، والبطن
ضامر ^(٩٠).

ولعل لشهرة هذه الآطام بالمدينة واختصاصها بها قال بعض العلماء إن الآطام إذا أطلقت فهي آطام المدينة كما قالوا في قول أوس بن مغراء السعدي:
بثّ الجنود لهم في الأرض يقتلهم ما بين بُصرى إلى آطام نجرانا ^(٩١).

وصف الشعراء حصانة الآطام :

وكانت الآطام عزا لأهل المدينة ومنعتهم وفيها كانوا يتحصنون من عدوهم، وقد أكثر الشعراء من وصف تلك الآطام بما يدل على طولها وحصانتها، مما يؤكد كونهم كانوا يفتخرون بها، ومن ذلك تلك الآطام التي بناها بنو أنيف بقاء: حيث يقول شاعرهم ^(٩٢) فيها:

ولو نطقت يوما فُباءً لخَبَرْتُ بأنّا نزلنا قبل عادٍ وتبع
وأطامنا عاديةً مشخرةً تلوحُ فنُنْكي من نعادي وتمنع ^(٩٣)

^(٨٨) الكلاعي، سليمان بن موسى، الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء، ط١، دار الكتب العلمية، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م، ج٢، ص ٦٤.

^(٨٩) انظر: ديوان زيد الخيل، ت: أحمد مختار البرزة، ط١، دار المأمون للتراث، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م، ص ١٠٦.

^(٩٠) ياقوت، معجم البلدان ج١، ٢١٩.

^(٩١) ابن منظور، لسان العرب ج١٢، ١٩.

^(٩٢) البيت بلا نسبة في المصادر التي ورد فيها.

^(٩٣) السهودي، وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م، ج١، ص ١٣٠.

فالشاعر في هذين البيتين يصف أطامهم التي بنوها بالطول، وأنها حصينة تمنع من وصول أعدائهم إليها، كما أنها مُنكية، وكأنه بذلك يشير إلى حصانتها الخارجية مما يجعل العدو يقف حيالها حيارى لا طاقة لهم بالهجوم عليها.

ومن هذا النوع وصف الشاعر لأطم «معرض» الذي يعتبر آخر أطم بالمدينة، حيث قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهم في طور بنائه فاستأذنه في إتمامه، فوافق ﷺ وأذن لهم وفيه يقول الشاعر أبو أسيد الساعدي:

ونحن حمينا عن بضاعة كلها ونحن بنينا مُعرضاً فهو مُشرف

فأصبح معموراً طويلاً فدى له وتخرب أطامٌ بها وتصفف (٩٤)

فالشاعر يصف أطم معرض الذي ابتاه أهله بنو ساعدة بن كعب حول بئر بضاعة، بالطول مع طول التعمير، حيث إن الأطلال الأخرى تتهدم ويبقى هو شامخاً معموراً طويلاً، وهذا ربما يرجع إلى مادة البناء التي بني بها هذا الأطم.

ومن تلك الأطلال التي وصفها الشعراء بالحصانة أيضاً أطم المزدلف الذي بناه سالم وغنم ابنا عوف وكان لمالك بن عجلان، وفيه يقول:

إني بنيت للحروب المزدلف قذفت فيه جنوداً مثل الردف (٩٥)

فيؤكد الشاعر بهذا البيت أنه ابتنى هذا الأطم للحروب، فهي أصل بنائها، وأنها قذفت فيها الجنود وهو الحجارة، التي يقلها الرجل وقال بعض أهل اللغة: هو الحجر كله كما قال امرؤ القيس:

وتيماء لم يترك بها جذع نخلة ولا أجما إلا مشيدا بجندل

وقيل صخرة كراس الإنسان (٩٦).

وقد أشار بعض الشعراء إلى معنى آخر من معاني بناء الأطلال، وهو بسط السيطرة والقهر، وقد عبّر الشاعر الأصبط بن قريع باني الأطم المنسوب إليه عن هذا المعنى قال:

وبنيت أطما في ديارهم لأثبت التقهير بالغصب (٩٧).

(٩٤) الفيروز آبادي، المغامم المطابة في معالم طابة ج ٣، ص ٧٨؛ انظر: السهمودي، وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ج ١، ص ١٥٩.

(٩٥) الفيروز آبادي، المغامم المطابة في معالم طابة ج ٣، ص ٧١.

(٩٦) الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس ج ١٤، ص ١٢٥.

(٩٧) الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس ج ١٦، ص ٢٣.

وبنى أحичة بن الجلاح أطماً بالعصبة يقال له «الضحيان»، وكان عرضه قريباً من طوله، وقد بناه أولاً من حجارة الحرار البيض أولاً فسقط، وقد وصفه بعد ذلك بالحصانة والمتانة وشبهه بالسيف الصقيل فقال (٩٨):

وقد أعددت للجِدْثان حصناً لو أنّ المرء تنفّعه العقولُ

طويلَ الرأس أبيض مشمخرٌ يلوح كأنه سيف صقيلٌ (٩٩)

ويظهر من تتبع شعر أحичة بن الجلاح أنه كان مغرمًا ببناء الأطم المرتفعة الحصينة ويستعد للإنفاق الأموال الطائلة عليها حرصاً على سلامته وأهله، وهو القائل (١٠٠):

إني بنيْتُ وإقماً والضَّخَّيان... والمستظِّلَ قَبْلَهُ بأُزْمانُ (١٠١).

كثرة ورود الأطم على لسان الشعراء:

لو تُتَّبَع عدد الأطم التي وردت في أشعار العرب لكانت بالعشرات، ولكن يكفي من القلادة ما أحاط بالعنق، فيشير البحث إلى بعض تلك الأطم التي ورد ذكرها في أشعارهم.

من الأطم التي ورد ذكرها في أشعار الشعراء، أطم الفارع وهو أطم حسان بن ثابت رضي الله عنه قال فيه حسان نفسه (١٠٢):

أرقت لتوماض البروق اللوامع ونحن نشادي بين سلع (١٠٣) وفارع (١٠٤)

(٩٨) انظر: ديوان أحичة بن الجلاح الأوسي، ط١، مطبوعات نادي الطائف الأدبي، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م، ص ٧٦-٧٧.

(٩٩) السمهودي، وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ج١، ص ١٥٤.

(١٠٠) لم أجد البيت في ديوان، ولكن ورد منسوباً إليه في المصادر؛ انظر: السمهودي، وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ج١، ص ١٥٤.

(١٠١) عدنان أحمد، علي أحمد يونس، يثرّب في شعر شعرائها، ص: ١٠.

(١٠٢) ديوان حسان، ت: عبد الله سنده، ص ١٥٩.

(١٠٣) سلع: جبل بسوق المدينة، وقال الأزهرى: موضع بقرب المدينة، وهو اليوم يقع في وسط عمران المدينة، في الجنوب الغربي منه عند المساجد السبعة. ياقوت، معجم البلدان ج٣، ص ٢٣٦؛ انظر: شراب، المعالم الأثرية في السنة والسيرة ص: ١٤٢؟

(١٠٤) فارع: اسم أطم بالمدينة، ياقوت، معجم البلدان ج٤، ص ٢٢٨.

وتسمية الأطام بها الاسم فيه إشارة إلى علوّها وارتفاعها، فهو من قول العرب: فرع إذا علا، كما قال الفيروزآبادي، والفارح العالي المرتفع الحسن الهيئة، وقد ورد ذكر هذا الأطم كثيراً في أشعار الشعراء، وفي ذلك دلالة ظاهرة على مكانته العمرانية بالمدينة في ذلك الوقت.

وقد أكثر الشعراء من ذكر هذا الأطم فمن ذلك قول مقيس بن صبابه: ثارت به فهراً وحملت عقلة... سراة بني النجار أرباب فارح وقول كثير (١٠٥):

رسا بين سلع والعقيق وفارح ... إلى أحد للزمز في غشامر وهو الأطم الذي أدخل فيه النبي ﷺ عتمه صفية أثناء غزوة الخندق، وتمكنت من قتل اليهودي الذي كان يحاول أن يتطلع إلى النساء في الداخل (١٠٦). ومن أشهر الأطام التي وردت في أشعار العرب أطم واقم: وهو من أطام المدينة وإليه تُضاف الحرّة، واشتقاقها من قول العرب: وَقَمْتُ الرَّجُلَ عَنْ حاجته: أي رددته، قال المرّار:

بحرّة واقم والعيس صُعُر ... ترى للحي جماعهما تبيعا (١٠٧). وقال خفاف بن ندبة (١٠٨):

لو أنّ المنايا جذن عن ذى مهابة لكان خضير حين أغلق واقما (١٠٩).

ومنه قول محمد بن أسلم في وقعة الحرة: فإن تقتلونا يوم حرّة واقم فنحن على الإسلام أول من قتل (١١٠).

(١٠٥) لم أجده في ديوانه المطبوع، ولكن ورد منسوباً إليه في المصادر.

(١٠٦) محمد إلياس عبد الغني، بيوت الصحابة حول المسجد النبوي، ط٤، د.م. ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م، ص: ١٣٣.

(١٠٧) ياقوت، معجم البلدان ٢، ٢٤٩.

(١٠٨) لم أجده في ديوانه المطبوع، ولكن ورد منسوباً إليه في المصادر.

(١٠٩) البكري، عبد الله بن عبد العزيز، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ط٣، عالم الكتب بيروت، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٢م، ج٢، ص ٤٣٧.

(١١٠) الحميري، محمد بن عبد الله الروض المعطار في خبر الأقطار، ت: إحسان عباس، ط٢، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م، ص: ٣٥٦.

وهذا جزء يسير من أشعار العرب التي ذكروا فيها تلك الآطام، وهو دالٌّ على كثرة الآطام الكاثرة التي حظيت بها يثرب واختصت بها، ودلّ على أن الشعر لم يزل ولا يزال أداة لتسجيل المفاخر والأحداث العظيمة.

الخاتمة:

خلص البحث إلى جملة من النتائج وأبرزها
أولاً: تطلق كلمة الآطام ويراد بها عدة معانٍ، ولكن المشهور منها والذي يدور عليه البحث الحصون والبيوت المربعة المسطحة.
ثانياً: خُصّ البحث إلى أن وجود الآطام اشتهر بالمدينة النبوية، وإن كان عهد بنائها أقدم حيث وجد في مدن أخرى غيرها.
ثالثاً: توصل البحث إلى ذكر عدد لا بأس به من الاستخدامات التي كان يستخدم بها هذه الآطام في المدينة النبوية وأن أهمّ هذه الاستخدامات هي مهمة التحصين.
رابعاً: اتضح من خلال البحث أن الشعراء أكثروا من ذكر المعالم التاريخية بالمدينة النبوية في أشعارهم، وأنهم قصدوا بذلك تخليد المآثر، وإثبات المفاخر وغير ذلك.
خامساً: تمكن البحث من ربط التاريخ بالشعر من خلال عدة موضوعات نموذجية بينهما.

فهرس المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر:

١. ابن فارس، أحمد بن فارس، مقاييس اللغة (د.م) دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
٢. الأزهرى محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، ط١، دار إحياء التراث العربى، بيروت ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.
٣. الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ت: أحمد عبد الغفور عطار، ط٤، دار العلم للملايين، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
٤. الزمخشري، محمود بن عمر، أساس البلاغة، ت: محمد باسل عيون، ط١، دار الكتب العلمية بيروت، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.
٥. الخطابي، حمد بن محمد، غريب الحديث (د.ت) دار الفكر، دمشق، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
٦. ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، غريب الحديث لابن الجوزي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
٧. الإفصاح في فقه اللغة، ط٣، دار مكتب الإعلام الإسلام، قم، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.
٨. محمد بن سلام، طبقات فحول الشعراء، ت: محمود شاكرك، دار المدني، جدة، (د.ت).
٩. ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، ط٣، دار صادر، بيروت ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.
١٠. الزبيدي، محمد بن أحمد، تاج العروس من جواهر القاموس، ط١، الفكر ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.
١١. المقدسي، المطهر بن طاهر، البدء والتاريخ، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، (د.ت).
١٢. ابن النجار، محمد بن محمود، الدر الثمينة في أخبار المدينة، ت: صلاح الدين بن عباس، ط١، مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.
١٣. العباسي، أحمد بن عبد الحميد، عمدة الأخبار في مدينة المختار، ت: حمد الجاسم، ط٥، المكتبة العلمية، المدينة المنورة، (د.ت).
١٤. البغدادى، عبد القادر بن عمر، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، ط٤، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.
١٥. ابن حزم، أحمد بن علي، جمهرة أنساب العرب لابن حزم، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
١٦. ابن أبي عاصم، أحمد بن عمرو، لأحاد والمثاني لابن أبي عاصم، ت: باسم فيصل أحمد، ط١، دار الراية الرياض، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

١٧. الإبيشي، محمد بن أحمد، المستطرف في كل فن مستطرف، ت: مفيد محمد قميحة، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.
١٨. الجامع الصحيح المختصر، البخاري، ت: مصطفى ديب البغا، ط٣، دار ابن كثير، اليمامة بيروت، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م،
١٩. ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ت: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.
٢٠. الشامي، محمد بن يوسف، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، ت: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.
٢١. ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، ت: ساي بن محمد سلامة، ط٢، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
٢٢. الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب، المعانم المطابة في معالم طابة، مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، (د.م) (د.ت).
٢٣. العيني بدر الدين محمود، شرح المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية المشهور بـ «شرح الشواهد الكبرى» ت: علي محمد فاخر، وجماعة، ط١، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة - جمهورية مصر العربية، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
٢٤. القلقشندي، أحمد بن علي القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ت: إبراهيم الإبياري، ط٢، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.
٢٥. البكري، عبد الله بن عبد العزيز، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ط٣، عالم الكتب بيروت، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٢م.
٢٦. الحميري، محمد بن عبد الله الروض المعطار في خبر الأقطار، ت: إحسان عباس، ط٢، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.
٢٧. الكلاعي، سليمان بن موسى، الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء، ط١، دار الكتب العلمية، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
٢٨. ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، الشعر والشعراء، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.
٢٩. السهودي، وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.
٣٠. ابن زبالة، محمد بن الحسن، أخبار المدينة، ت: صلاح عبد العزيز، ط١، مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.

٣١. السمهودي، خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى، ت: محمد الأمي الجكني، (د.م).
(د.ت.).
٣٢. محمد بن حبيب، المنمق في أخبار قريش، ت: خورشيد أحمد فاروق، ط١، عالم الكتب، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

ثانيا: المراجع:

١. شراب، محمد بن محمد، المعالم الأثرية في السنة والسيرة، ط١، ١٤١١هـ / ١٩٩٠م، دار القلم دمشق بيروت.
٢. ديوان حسان بن ثابت، ت: عبد الله سنده، ط١، دار المعرفة بيروت، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.
٣. الصاعدي، سعود بن عيد، معجم المعالم الأثرية في المدينة المنورة في ضوء المصادر الأصلية والمراجع الحديثة، ط١، وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد، ١٤٣٨هـ / ٢٠١٦م.
٤. الخياري، أحمد ياسين أحمد، تاريخ معالم المدينة المنورة قديما وحديثا، ط١، نادي المدينة المنورة الأدبي، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.
٥. سعيد حوى، الأساس في السنة وفقهها، السيرة النبوية، ط٣، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م.
٦. الشريف أحمد إبراهيم، مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول صلى الله عليه وسلم، دار الفكر العربي، (د.ت.).
٧. عبد الله بن عبد العزيز، مجتمع المدينة في عهد الرسول ﷺ، ط١، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م، (د.م).
٨. محمد السيد الوكيل، يثرب قبل الإسلام، ص: ١٨٢، ط١، دار المجتمع للنشر والتوزيع، جدة، ١٤٠٦هـ / ١٩٩٦م.
٩. إسرائيل ولفنسون، تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، مطبعة الاعتماد، مصر، ١٣٤٥هـ / ١٩٢٧.
١٠. جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط٤، دار الساقى، بيروت، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.
١١. الخياري، أحمد ياسين، الحسيني، المدينة المنورة واليهود، ط١، مؤسسة المدينة للصحابة (دار العلم) جدة، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.
١٢. محمد السيد الوكيل، يثرب قبل الإسلام، ص: ١٨٢، ط١، دار المجتمع للنشر والتوزيع، جدة، ١٤٠٦هـ / ١٩٩٦م.
١٣. ديوان أحيحة بن الجلاح الأوسي، ط١، مطبوعات نادي الطائف الأدبي، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.
١٤. عدنان أحمد، علي أحمد يونس، يثرب في شعر شعرائها، مجلة جامعة تشرين

- للدراستات والبحوث العلمية، تاريخ النشر ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م.
١٥. هاني السباعي، قراءة في مصادر السيرة النبوية، دار هادف للنشر والتوزيع، (د.ت) (د.م).
١٦. فاروق حمادة، مصادر السيرة النبوية وتقويمها، ط٣، دار القلم دمشق، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.
١٧. الكبيسي عبد الحافظ عبد محمد، أسس مصادر كتابة السيرة النبوية، مجلة مداد الآداب، العدد الثالث، الجامعة العراقية كلية الآداب.
١٨. الرافعي، مصطفى صادق، تاريخ آداب العرب، ت: درويش الجويدي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر ببيروت، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.
١٩. امرئ القيس، الديوان، ت المصطاوي، ط٢، دار المعرفة بيروت، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.
٢٠. لطفي عبد الوهاب، العرب في العصور القديمة، دار المعرفة الجامعية، ط٢، للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية (د.ت).
٢١. ديوان أبي ذؤيب، ت: أحمد خليل الشال، ط١، مركز الدراسات والبحوث الإسلامية، بورسعيد مصر، ١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م.
٢٢. محمد بيومي مهران، دراسات في تاريخ العرب القديم، ط٢، دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية (د.ت).
٢٣. ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، ط٧، دار الجيل بيروت، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م.
٢٤. شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، دار ذوي القربي، قم، ط٢، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.
٢٥. كتاب " أمثال العرب" للمفضل الضبي، ت إحسان ط١، دار الرائد العربي، بيروت، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.
٢٦. محمد إلياس عبد الغني، بيوت الصحابة حول المسجد النبوي، ط٤، (د.م) ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
٢٧. ديوان زيد الخيل، ت: أحمد مختار البرزة، ط١، دار المأمون للتراث، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.
٢٨. الألباني، محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، ط١، دار المعارف الرياض، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.